

الشبكات الاجتماعية الالكترونية وإشكالية تطبيق نظرية المجال العام

لهبرماس في البحوث العربية

د. جمال بن زروق جامعة سكيكدة

أ. بضياف سوهيلتة جامعة باتنة1

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على استخدام نظرية المجال العام لهبرماس كمقاربة نظرية في البحوث العلمية العربية لتفسير العلاقة بين الشبكات الاجتماعية الالكترونية و التحولات السياسية في الوطن العربي، وما تطرحه من إشكالات منهجية لها علاقة بخلفيتها التاريخية وفروضها الأساسية الغربية المنشأ بكل تفاصيلها وإسقاطها على الواقع العربي الذي يختلف في تكوينه الاجتماعي والسياسي والثقافي والقيمي.

الكلمات الدالة: الشبكات الاجتماعية الالكترونية، الفضاء العام، الفضاء الافتراضي

Abstract

The purpose of this study is to spot the light in the use of public sphere's theory of Habermas as an approach in Arab scientific researches in order to analyse the relationship between social networks and recent Arabic political changes in the world in addition to the methodological problems it faces in the Arab researches refer to its historical culture and political background

المقدمة

أفرز التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال وظهور الشبكات الاجتماعية الالكترونية، العديد من التحديات المنهجية التي لها علاقة بالمقاربات النظرية التي يعتمد عليها الباحثون في تأطير البحوث في مجال علوم الإعلام والاتصال في المجتمع العربي، لاسيما في بحوث الإعلام الجديد باعتبار تزايد مستخدميها، وتزامن تطورها في الوطن العربي مع العديد من التحولات السياسية التي لم تكن تعرفها المجتمعات العربية سابقا، حيث توجه الباحثون إلى اعتماد بعض النظريات لتفسير العلاقة بين الشبكات الاجتماعية الالكترونية وهذه التحولات، لكنها في كثير من الأحيان لم تستطع الإجابة على الإشكالات المنهجية المطروحة والتي تعود أساسا إلى المشكلة الأساسية، وهي تحديد هوية الإعلام الجديد في حد ذاتها، إذ ينظر إليه من منظور تكنولوجي على حساب عدة عوامل تساهم في تشكيل الظاهرة الاتصالية والإعلامية الناتجة عنه، ومن أهم هذه النظريات نظرية المجال العام ليورغن هبرماس، حيث أعتبرت الأصلح لتفسير علاقة الشبكات الاجتماعية الالكترونية بما يسمى بالثورات العربية، ووصفت وكأنها مجال عام بديل في ظل كبت الحريات والرقابة التي تعيشها هذه البلدان، علما أن نظرية المجال العام التي نشأت في الغرب أساسها النقد العقلاني الحر والحجاجي لتأسيس الديمقراطية التي يستوجب تحقيقها مناخ عام سياسي واجتماعي وثقافي قيمى ملائم، وهو ما يدفعنا إلى البحث في مدى صلاحية هذه النظرية لتأطير البحوث العربية وتفسير الواقع العربي الذي يختلف في تكوينه وبيئته عن الغرب وذلك بمحاولة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: ما هي الإشكالات المنهجية التي يطرحها تطبيق نظرية المجال لهبرماس في البحوث العربية لتفسير العلاقة بين الشبكات الاجتماعية الالكترونية والتحولات السياسية في الوطن العربي ؟ وتندرج تحت هذا التساؤل تساؤلات فرعية نحصرها في مايلي:

- ما هي المنطلقات النظرية والخلفية التاريخية لنظرية المجال العام لهبرماس؟
- ما هي أسباب اعتماد الباحثين العرب على نظرية المجال العام لهبرماس ومبرراتهم في ذلك؟

- ما هي مواطن قصور نظرية المجال العام في تفسير الواقع العربي؟

أولاً: مفهوم الشبكات الاجتماعية الالكترونية وأبعادها

1/ - تعريف الشبكات الاجتماعية الالكترونية: تعرف على أنها مجموعة من التطبيقات تساهم في زيادة التفاعلات الاجتماعية وتوفير مساحات مشتركة من التعاون وإتاحة الاتصالات الاجتماعية وتبادل المعلومات بشكل هائل في بيئة الانترنت.¹

وتعرفها السون وبويد Ellison and Boyd على أنها مواقع تتشكل من خلال الانترنت تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال وتختلف عملية التواصل من موقع لآخر.²

كما تعرف أيضا على أنها خدمة متوفرة عبر الانترنت تعمل على ربط عدد كبير من المستخدمين من شتى أرجاء العالم ومشاركتهم وتشبيكهم في موقع الكتروني واحد، يتواصلون معا مباشرة ويتبادلون الأفكار والمعلومات ويناقشون قضايا لها أهمية مشتركة بينهم، ويتمتعون بخدمات الأخبار والحادثة الفورية والبريد الالكتروني، ومشاركة الملفات النصية والمصورة وملفات الفيديو والصوتيات.³

ومن خلال مختلف هذه التعريفات يتضح أن للشبكات الاجتماعية الالكترونية بعدين أساسيين حددهما ستنجر فيمايلي:⁴

- البعد التكنولوجي: وله علاقة بوسائل الاتصال التي هي في تطور مستمر بداية بالويب 1.0 الذي يعتبر الفرد كمتفرج متلقي، أو قارئ بسيط يقرأ المحتوى المتاح على الويب، ثم ومع ظهور الويب 2.0 تغير البراديغم، لأن الفرد انتقل من مرحلة القارئ السلبي إلى منتج للمحتوى، فهو الذي يثري محتوى الويب بفضل التكنولوجيا الجديدة، والشبكات الاجتماعية الالكترونية ما هي إلى تكملة لمشهد تطور وسائل الاتصال.

- البعد الاجتماعي: ويمثل القيمة الأساسية والقاعدية للشبكات الاجتماعية الالكترونية، والتي تضع التكنولوجيا المتميزة في خدمة الأشخاص المترابطين فيما بينهم عبر علاقات متنوعة (عائلية، صداقات... الخ) بهدف البقاء على اتصال من جهة، والاندماج من جهة أخرى في مجموعات افتراضية.

ثانياً: الفضاء العام - خلفيته التاريخية و أسسه النظرية

إن فكرة المجال العام تعود إلى الفيلسوف الألماني يورغن هيرماس الذي أسس نظرية المجال العام من خلال كتابه الذي صدر سنة 1962 تحت عنوان "التحول البنوي في المجال العام حيث أعطى تصورا جديدا للديمقراطية من خلال نظريته حول الفعل التواصلية والتي ركز من خلالها على أنسنة عمليات العقلنة بإدخال أبعاد التواصل، وربط تحركات الفضاء العمومي الحديثة بمعايير أخلاقية تنبذ وساطة المال والسلطة وتفتح فضاءات للحرية والفاعلية الإنسانية، وقد أخذ يورغن هيرماس Jürgen Habermas مفهوم الفضاء العمومي (espace public) عن كانط E.Kant والذي أستخدم في سبعينيات القرن الماضي بكثرة في مجال التحليل السياسي وكان يعبر به عن الفضاء الوسطي الذي تكوّن تاريخيا في زمن الأنوار بين المجتمع المدني والدولة.⁵

وهذه النظرية تمتد جذورها إلى القرن 18 في المملكة المتحدة إذ أنها تصف وتشرح نشأة تكون الرأي العام وحالة الرأي العام في ممارسة الحكومة التمثيلية في غرب أوروبا والمؤثرات الثقافية والاجتماعية التي تساعد على تطوير الرأي العام ويعرف المجال العام في هذا السياق على أنه مجموعة من الأشخاص المجتمعين لمناقشة القضايا المرتبطة بالشأن العام، والجدير بالذكر

أن تشكل المجال العام في أوروبا وفق هذه الرؤية ظهر بعد بروز (العقد الاجتماعي) كمنظم للحياة الاجتماعية وكقوة موازية للحكم المطلق.⁶

و يمثل الفضاء العمومي في نظر هابرماس حلبة النقاش العام التي تدور فيها المساجلات وتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم، ويصف المجال العام بأنه شبكة للتواصل وتبادل المعلومات، ووجهات النظر والآراء التي تعبر عن مواقف سلبية أو إيجابية، وفي إطار هذه السيورة يجري تنظيم الدفق من التواصل وتركيبه بحيث ينضوي في رزم من الآراء العامة المتعلقة بموضوعات محددة وتجري إعادة إنتاج المجال العام من خلال فعل تواصل يفي للقيام به مجرد إتقان اللغة.⁷

وتفترض نظرية الشأن العام أربع سمات رئيسية تميز الاتصال عبر ما أطلق عليه Habermas الشأن العام وهي : القدرة علي الوصول إلى دائرة الاتصال ، والحرية التي يتمتع بها الأفراد في الاتصال داخل هذه الدائرة، وبنية المناقشة، وطرح خطاب مبرر بأدلة إقناعية محددة⁸، ومن أهم السمات التي حددها هبرماس للمجال العام مايلي:⁹

- 1- المجال العام حيز من حياتنا الاجتماعية يمكن من خلاله أن يتم تشكيل ما يقترب من الرأي العام.
 - 2- المجال العام ينشأ من ناس خصوصيين، يجتمعون معاً كجمهور ليتناولوا احتياجات المجتمع من الدولة.
 - 3- المجال العام هو مجموعة أشخاص يستفيدون من عقلانياتهم وتفكيرهم في مناقشة المسائل العامة.
- بذلك نستنتج ثلاثة مظاهر تميز المجال العام أولها أن المشاركة فيه مفتوحة، وثانيها أنه يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة فيه بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وثالثها أن أي قضية فيه تكون قابلة للنقاش¹⁰

فالهدف الذي تؤكد نظرية المجال العام التي يطرحها هابرماس هو ضرورة بناء مجتمع حوار يوجه مبدأ قبول الآخر المختلف، فالتواصل وإن كان ينطلق من إستراتيجية تأكيد الذات والتأثير في الآخر إلا أنه يهدف في العمق إلى بناء ما يسميه هابرماس "المجال العام" للعلاقات القائمة على الاختلاف والحوار وسيادة روح الديمقراطية .

ثالثاً: نظرية المجال العام كمؤطر لبحوث الشبكات-توجهات وتفسيرات-

لقد حاول العديد من الباحثين دراسة إمكانية وقدرة الفضاء الافتراضي ومنه الشبكات الاجتماعية الالكترونية على أن تشكل مجالا عاما وفقا للمعنى الذي طرحه الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس ، إذ أن الإشكال لم يطرحه العرب فقط بل طرحه أيضا الغرب خاصة و أن النظرية يغلب عليها الطابع المعيارى فحدد بذلك العديد من الباحثين في الغرب شروطا يجب أن تتحقق حتى نستطيع أن نصف المجال الذي تفتحه شبكة الانترنت مجالا عاما يتوافق مع فروض نظرية المجال العام لهابرماس خاصة وأن شبكة الانترنت مجال مفتوح أمام الجميع، ولديها خصوصيتها التي تستوجب وضع بعض الشروط لضبط المجال العام فيها حتى يصبح ملائما لما طرحه هبرماس و في هذا السياق حدد Dahlberg مجموعة من الشروط التي يمكن أن تضبط الخطاب المقدم عبر الساحات العامة على شبكة الإنترنت وتجعله أكثر تحديدا وإقناعا وهي:¹¹

- 1- تبادل ونقد الحجج والدعوى الصادقة والعقلانية ، فالمناقشات الجادة تقتضي المشاركة في نقد وتحليل القضايا من خلال حجج وبراهين واضحة دون الاعتماد على التأكيدات والتعميمات البسيطة .

- 2- لا بد أن يفحص المشاركون بشكل ناقد قيمهم الثقافية وفرضياتهم واهتماماتهم ومصالحهم بالإضافة إلى السياق الاجتماعي الأكثر اتساعا .
- 3- لا بد أن يحاول المشاركون في ساحات النقاش حول الشأن العام فهم الحجج التي تقوم عليها وجهات النظر الأخرى في ظل بيئة مناقشة تعرف بأهمية الاستماع إلى الرأي الآخر .
- 4- لا بد أن يبذل كل مشترك جهدا مخلصا في تقديم المعلومات ذات الصلة بمشكلة معينة ، بما فيها المعلومات التي تعكس المصالح والحاجات والرغبات .
- 5- من حق كل مشترك أن يقدم أي طرح يريده نحو القضية دون تضمينات معينة ودون تبعية لخطابات أخرى خارجية (رسمية أو غير رسمية) .

وتستمد هذه الشروط مشروعيتها من نظرية المجال العام لهبرماس حيث تؤكد على ضرورة النقاش العقلاني الحجاجي والتداولي لكي يتحقق المجال العام على شبكة الانترنت التي تتسم بخصائص قد تجعل من تحقيق هذه النظرة المثالية صعبة في الدول الغربية التي نشأت فيها الديمقراطية ، مما يجعل الأخذ بهذه النظرية لتفسير ما يحدث على شبكة الانترنت يأخذ بنوع من الحذر ووفقا لشروط معينة رغم أن الغرب يرون أن هذه النظرية صالحة لكل المجتمعات، أما الباحثين العرب فقد سارع بعضهم - بالتزامن مع أحداث الربيع العربي - إلى التحمس للدور العظيم للشبكات الاجتماعية الالكترونية في التغيير السياسي واعتبروها محالا عاما بديلا، واعتمدوا بشكل كبير على نظرية المجال العام لهبرماس لتفسير دور الإعلام الجديد في ما يسمى بالربيع العربي وعلاقتها بالتغيير السياسي، مبررين ذلك بأن الشباب العربي وجد في الشبكات الاجتماعية وسيلة للتخلص من واقعهم السياسي والاجتماعي مقارنة بالأبنية التقليدية وأهمها: مشكلة الرقابة على وسائل الإعلام ، ضيق قاعدة إنتاج المعلومات وتداولها والحصول عليها، مشكلة ضعف الرأس المال الاجتماعي ، واعتبرت بذلك فرصة سياسية للمشاركة في الشأن العام بغض النظر على الشروط التي يجب أن تتوفر كي نستطيع فعلا توصيف ما يحدث على الشبكات العربية بالمجال العام .

ولا ينف هذا أن استخدام النظرية كمؤطر للدراسات الإعلامية العربية عرف توجهات مؤيدة ومعارضة وفقا لمنطلقين نحدد هما فيما يلي:

- المنطلق الأول : ويتعلق بإمكانية تكوين الفضاءات الافتراضية عبر الشبكات الاجتماعية الالكترونية للمجال العام على أساس فكرة المقارنة بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي وخصائص كل منهما حيث يؤكد المسح السريع لأدبيات دراسة العلاقة بين المجتمعات الافتراضية والمجال العام في الوطن العربي، أنها أسفرت عن اتجاهين متضادين، الاتجاه الأول يرفض وجود علاقة بين المجتمع الافتراضي والمجال العام بسبب ما يتميز به الحيز الافتراضي من مادية وعدم إنسانية ، وهو ما لا يتوافق مع طبيعة المجال العام القائمة على التفاعلية الاجتماعية بين مختلف الأفراد ، بينما يذهب الاتجاه الثاني إلى إمكانية مساهمة الحيز الافتراضي في بناء المجال العام خاصة في ظل عدم قدرة الأفراد على استخدام الفضاءات التقليدية نتيجة خضوعها للسيطرة من جانب قلة من أفراد المجتمع ، وهو الأمر الذي قد يمنع تشكيل الهيئة العامة المكونة للمجال العام في داخل الأطر التقليدية المعروفة¹² . والملاحظ على المهتمين بهذا الطرح هو الربط بين مفهوم المجال العام ومفهوم المجتمع الافتراضي واعتبارهما مترادفان.

- المنطلق الثاني: ويتعلق بالنظر إلى مدى مواءمة نظرية المجال العام بالمعنى الهبرماسي بأسسها ومبادئها الغربية المنشأ لدراسة الواقع العربي والتحولات السياسية العربية ومساهمة المجتمع الافتراضي فيه.

ثالثاً: الشبكات الاجتماعية الالكترونية والمتحمسون لنظرية المجال العام لهبرماس

يرى المتحمسون لنظرية المجال العام في بحوث الشبكات أن النظرية في بنيتها الجديدة تعتمد على محاولة فهم حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة في إتاحة النقاش العام وتسهيل بلورة توافقات تعبر عن الرأي العام النشط، بحيث تكون إطاراً نظرياً متكاملًا يمكنه توضيح حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة ممثلة في المدونات والمنتديات ومجموعات النقاش في إدارة وتوجيه النقاش السياسي والاجتماعي في المجتمع من أجل تعزيز المشاركة العامة وترشيد مدخلات صناعة القرار وصولاً إلى دعم كفاءة الفعل الديمقراطي في المجتمعات عبر بلورة رأي عام يحظى بأولويات لا اختلاف عليها وتمنح الشرعية للعمليات السياسية المختلفة.¹³ إن الإنترنت بوجه عام والمواقع الاجتماعية بوجه خاص جاءت لتشكيل عالماً افتراضياً جديداً يفتح الباب للأفراد والجماعات والتنظيمات بمختلف أنواعها للتنفس نسماً حرة غير مسبقة من جانب، وإسماع صونها للآخرين من جانب آخر، وذلك عبر مواقع عدد من الصحف الافتراضية الجديدة والمواقع الإخبارية والمنتديات والقوائم البريدية والمواقع الشخصية لبعض السياسيين ورجال الدين والأفراد العاديين، ولقد أشارت رايسز Zize Rissi إلى أن الإنترنت ساعد في تشكيل المجال العام البديل الذي يضم الأفراد الخارجين عن علاقات القوة والمهمشين، والمقصود هنا بالمهمشين هم الأفراد الذين لم تمكنهم امتيازاتهم من المشاركة في المجال العام.¹⁴

ومن هنا، فإن ظهور الإعلام البديل متمثلاً في شبكة الإنترنت جاء كحركة ارتجائية أو كرد فعل عنيف للمواقع الاجتماعية الذي فرضته تكنولوجيا الاتصال بتوفير وسائل نشر بديلة تتمتع بدرجة عالية من الحرية وسهولة الاستخدام وانخفاض الكلفة، وذلك للتخلص من سيطرة النخب الإعلامية على وسائل الإعلام التقليدية في المجتمع، وغياب المصادقية في وسائل الإعلام التقليدية.¹⁵ ولقد أثبت الإعلام المستقل والإنترنت وغيرهما من أدوات الاتصال الحديثة، في أكثر من حالة، قدرة عالية على تمكين الخطاب البديل، بل وتقويض دور النظام الحاكم في فرض مفرداته على المجال العام. وخير مثال علي هذه المسألة هو ثورات الربيع العربي، التي اعتمدت بشكل رئيسي على وسائل الاتصال الحديثة في تجاوز العراقيل المفروضة للدولة السلطوية من أجل تعزيز وحشد صفوفها وصولاً إلى إعادة ترتيب مواقع وأدوار الفاعلين في المجال السياسي، وعلى رأس هؤلاء موقع النظام الحاكم السلطوي نفسه

رابعاً: قصور نظرية المجال العام بالمعنى الهبرماسي على تفسير الواقع العربي

عرف تطبيق نظرية المجال العام لهبرماس في البحوث العربية بعض الانتقادات التي لها علاقة ببنية النظرية في حد ذاتها التي استمدت جذورها من بيئة وسياق غربي بكل ما يحمله من مرجعية فكرية وتاريخية، فعند ظهور مواقع التواصل الاجتماعي، فإن العرب إجمالاً قاموا باستخدامها أولاً، وقبل كل شيء، كأداة لل طرح السياسي، وذلك لعدم وجود إعلام محايد أو مؤسسات للمجتمع المدني أو نشاط سياسي في الشارع العربي. ولكن هناك مبالغة في الدور الفعلي لمواقع التواصل في تغيير واقع السياسة. وإن دور أعضاء مجموعات الفيسبوك أو المشاركين هو في غالب الأحيان رمزي، ولا يتعدى حدود الشكليات.¹⁶ في حين لا يشكل المنظور الهبرماسي المسلك الوحيد لتوصيف المجال العمومي الذي يعد معيارياً ومثالياً للمجال العام مما يحد من كونه إذ يجعل منه مقياساً لتقييم الطابع الديمقراطي للمجال العام وعقلانية النقاش العام كما أنه يمثل مطمحاً للمجتمع الديمقراطي.¹⁷ ولعلّه من المهمّ هنا الإشارة إلى أنّ "هبرماس" قد أُوخذ في الغرب على تركيزه على مسألة الحجاج العقلانية كمرجع معياري للممارسة الديمقراطية على حساب المقاربة الإجرائية أي مساءلة الطابع الملموس للمجال العمومي كمجال لظهور الأحداث والأفكار والأشخاص، وهي مقاربة استمدت من أفكار "حنا أرندت" التي تقارب المجال العمومي كمشهد عام تتجلى فيه الأفكار والآراء والأحداث أو كفضاء لتمثيل الواقع الاجتماعي وأحداثه

وقضاياها وفاعليه بما يكسبه طابعا وسائطيا ويجعله، حسب "جان مارك فيري"، "الوسيط الذي تنظر الإنسانية من خلاله إلى نفسها".¹⁸

كما أن توصيف الفضاء العمومي الافتراضي العربي من منظور هابرماسي قد يكون خاطئا لأن الفضاء الإلكتروني يمكن أن يساهم في تشظي المجال العمومي الذي يتحول إلى فضاءات لا تتفاعل مع بعضها¹⁹ لاسيما وأن مطاطية الفضاء العمومي واتساعه بالمنظور الهابرماسي تجعل التساؤل عن إمكانية استخدامه كمؤطر للدراسات مطروحة من طرف الباحثين خاصة فيما يتعلق بأن كل الأطراف المشاركين في المجال العام يمتلكون صوتا ماثلا لأنهم كلهم عقلانيون لهم تجارب في الحياة متماثلة²⁰ وهو ما لا يمكن إسقاطه على الواقع العربي خاصة فيما يتعلق بالشبكات فهناك الكثير من يدخلون النقاشات دون دراية أو معرفة بالشبكات تطرح فكرة وصول الجميع إلى المعلومة والنقاش مفتوح للجميع بغض النظر على درجة العقلانية التي ينتمي إليها الأشخاص، وحتى العقلانية التي تحدث عنها هبرماس عرفت انتقادات في المجتمعات الغربية على أساس أن عقلانية الإنسان محدودة بقدراتها المعرفية فلا يستطيع إذن تسيير أنظمتها المعقدة التي أصبحت عليها مجتمعاتنا، فما بالك في مجتمعاتنا العربية التي لازالت تعاني لحد الآن من الأمية

كما أن هناك من يرى أن المفهوم الهابرماسي يتجاوز تبعات تحليل كبيرة تخص الاختلاف والتعدد في الطبقات والهويات والنوع الاجتماعي في حين أن النظريات النقدية التي جاءت بعد هابرماس كشفت عن عيوب خلفها المجال العمومي ليس أقلها دخول الفرد في أدب وسائل إعلام المجتمعات الحديثة إلى مستهلك شديد وليس مشاركا تفاعليا²¹ وفي هذا النطاق تشكلت مقاربة بديلة للمجال العمومي لا تركز على الأبعاد الحوارية والعقلانية والحجاجية، ووسمت بالجمالية والإستيقية لأنها حسب جون ماك فيري تتيح مفهوما إجرائيا وغير معياريا للمجال العمومي حيث تفكر فيه على أساس أنه إشهار للأفكار والآراء والأحداث الاجتماعية، وآليات تمثيلها بالمقاربة تؤكد على الطابع الملموس للمجال العمومي باعتبار ارتباطه بسياق إنساني مخصوص ويشير الصادق الحمامي ضرورة الاعتماد على المقاربة الهابرماسية والمقاربة الجمالية لفهم المجال العمومي العربي، حيث أن هذه المقاربة المزدوجة غير المعيارية بالتفكير في آليات التمثيل والإشهار للآراء السياسية الفكرية والأحداث الاجتماعية دون انقطاع عن المقاربة الهابرماسية التي تستلهم منها الأدوات الضرورية التي تتيح المجال العام وتقييمه.²²

وهو ما ينظر البعض إلى صعوبة تطبيق والاعتماد عليه فالنظر إلى المجال العام وفق نظرة حنا أرندت بالنظر إلى المجال العمومي كمشهد عام واستعراض للحياة يتطلب وجود جمهور لديه القدرة على الحكم على ما يظهر، وفي نفس الوقت يجب أن تكون الغاية من الظهور بعيدة عن المصالح الخاصة والفتوية والعرقية²³ وهو ما لا يمكن توفيره في الشبكات الاجتماعية التي تعد مفتوحة أمام الجميع وخاصة في الدول العربية والدليل على ذلك الصفحات التي تستغل في الدعاية للمذاهب المختلفة وخلق التزعة العرقية ونشر التفرقة بكل الأساليب خاصة في مرحلة ما بعد الربيع العربي.

وبعيدا عن التزعة الاحتفائية بما يسمى "الميديا الجديدة" التي تهمش دور الإعلام التقليدي في إمكانية المشاركة في الانتقال الديمقراطي باعتبارها أقدر على تعزيز مشاركة المواطنين في الحياة السياسية وتحقيق الديمقراطية التداولية التي تتجاوز البعد التمثيلي النخبوي. فتبقى نظرية المجال العام فيها قصور كبير في تفسير الواقع العربي، حيث يرى نصر الدين العياضي أنه رغم التراجع عن الاعتماد على المقومات التي جاء بها هابرماس في نظرية المجال العام خاصة الطابع الجدالي والتداولي لكن الفضاء العام هو فضاء للسياسة التي هي الحرية التي تضمن لكل شخص مكانته كفاعل في الشأن العام مختلفين ومتساويين في نظرته لهذا الشأن وهو مالا يتوفر في ثقافتنا العربية²⁴ فالديمقراطية هي نتاج ممارسة سياسية وثقافية وليست ظاهرة

تكنولوجية تنتجها التطورات الحاصلة في مجال الإعلام والاتصال وتعكسها المتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية للمجتمع

والدليل على ذلك هو أن علاقة سلطة الافتراضي في الدول المتقدمة وطيدة بالرأي العام وبتشكيله وصنعه وبنائه مادامت السلطة تساوي الرأي العام وإيجاد جماعات ضغط تمارس نفوذها في المجتمع²⁵ أما في مجتمعاتنا العربية وتحديدًا مجتمعات الربيع العربي فيكاد يقتصر توظيف الافتراضي في المجال الاحتجاجي ليؤسس ثقافة المطالبة والاحتجاج كل حسب اتجاهاته واختياراته²⁵

ففكرة الرأي العام التي تطرحها نظرية المجال العام بعيدة كل البعد على مجتمعاتنا العربية التي تتأسس تاريخها على فكرة العصبية والشورى، وهو ما جعل المفكر عزى عبد الرحمن يدعو إلى وضع مفهوم الرأي العام في سياقه العربي واستبداله بمفهوم المخيال كخطوة لبناء نظرية إعلامية تتواءم وخصوصيات المجتمع العربي.²⁶

كما أن فكرة الخاص والعام والفصل بينهم لا نستطيع تطبيقها في الوطن العربي بحكم أن الخاص عند العرب ليس هو نفسه الخاص عند الغرب كل وفقا لقيمه فالخاص عند العرب ينطلق بمرجعيته التاريخية من فكرة الحوش، الحارة و حرمة المرأة مما يجعل اختلاف الخاص عند المرأة العربية ليس هو نفسه عند المرأة في الغرب كما أن فكرة الفصل بين ما هو عام وخاص لا يمكن تطبيقها في الشبكات الاجتماعية الالكترونية لأن كثيرا ما تتحول إلى قضية عامة والدليل على ذلك حرق البوعزيزي لنفسه بتونس حيث كانت قضية خاصة وسرعان ما تحولت إلى قضية عامة .

الخاتمة

إن المشكلة الأساسية في تطبيق نظرية المجال العام لهبرماس على الواقع العربي وعلاقته بالشبكات الاجتماعية الالكترونية تعود أساسا لهوية الإعلام الجديد بما فيه الشبكات الاجتماعية الالكترونية ومشكلة ضبط المفهوم في حد ذاته بالإضافة إلى خصوصيات المجتمعات العربية السياسية والثقافية القيمة مما يستوجب إعادة النظر في النظريات المؤطرة لبحوث الإعلام بمفاهيم ونظريات عربية تتوافق والمنظومة العربية في كل مناحيها.

قائمة المراجع

- 1- علي حسن : العلاقة بين الاتصال عبر مواقع الشبكات الاجتماعية والمشاركة السياسية للشباب دراسة - تطبيقية على انتخابات رئاسة الجمهورية في مصر، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 43، العدد 1، 2016، ص 230
- 2- Danah m. Boyd, Nicole B.Ellison , Social network sites; Definition , history and scholar ship , Journal of computer mediated communication , vol(13),issue (1) 2010
- 3- السيد محمد عبد المولى، أحمد نصحي : شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بالبحرين، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي ، المجلد السابع ، العدد 15، 2014، ص 152
- 4- Stenger Thomas, Coutant Alexandre;_Ces réseaux numériques dit sociaux, Hermès Edition ,CNRS,59,2011
- 5- Dominique Wolton, l'espace public, cahiers français, N° 218, Mai - Juin 1997, page 66
- 6- Jorgen Habermas ، The Structural Transformation of the public Sphere : An Inquiry into a Category of Bourgeois Society, Cambridge :Transl :Thomas Burger and Frederick Lawrence 1979، p.12
- 7- محمود القطاطفة: علاقة الإعلام الجديد بحرية الرأي والتعبير في فلسطين الفايسبوك نموذجًا، المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية، 2011، ص 20

- 8- Habermes , the public sphere , in c. Mukerji and schudson . M(eds) Retching popular culture : contemporary perspectives in cultural studies , 1991, pp.398-404
- 9- حاتم سليم العلانة: دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين الأردنيين على الحراك الجماهيري، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر بعنوان " ثقافة التغيير، كلية الآداب، جامعة فيلادلفيا عمان الأردن تشرين الثاني 2012
- 10- عبد المقصود، هشام: خصائص المجال العام لتقديم التعبيرات السياسية والاجتماعية عن قضايا وأحداث الشؤون العامة في وسائل الإعلام الجديدة، مؤتمر الأسرة والإعلام وتحديات العصر، الجزء الثاني، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2009
- 11- Dahlberg ,Lincoln , " The internet and Democratic :Discourse Exploring the prospects of online deliberative forms extending the public sphere, information communication and society ,Vol 4,Issue 4,2001,P.623
- 12- إسلام حجازي ، الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسي في مصر -ظاهرة الفيسبوك في مصر نموذجاً، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية ، 2009، ص 7
- 13- محمود درويش اللبان:الإعلام البديل صوت الناس، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2016
- 14- Zizi Papache rissi, the virtual sphere, the internet as a public sphere, New media and society, vol 4, no1, 2002, p15-
- 15- محمود درويش اللبان : مرجع سابق
- 16- بشرى جميل الراوي: دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 2012، 18
- 17- الصادق الحمامي: الميديا الجديدة و المجال العمومي -الإحياء والانبعاث، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، ص11
- 18- Jean-Marc Ferry, Les transformations de la publicité politique, in Hermès N° 4, 1989, p. 21.
- 19- الصادق الحمامي: مرجع سابق، ص11
- 20- نعيمان عثمان : بؤس الصحافة ومجد الصحفيين، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2009، ص91
- 21- نفس المرجع: ص94
- 22- الصادق حمامي: مرجع سابق، ص17-18
- 23- نصر الدين العياضي: وسائط جديدة وإشكاليات قديمة-التفكير في أدوات التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية ، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 22، 2012، ص48
- 24- نصر الدين العياضي : نفس المرجع ، ص49
- 25- جوخر الجهموسي : الافتراضي والثورة مكانة الانترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط 1، 2016، ص 222
- 26- أنظر كتب عبد الرحمن عزي حول الحتمية القيمية